

مختصر
حلية طلب العلم
أجازه وصادقه فضيلة الشيخ
بكر بن عبد الله أبو زيد
اختصره
طه بن حسين بأفضل
مصدر هذه المادة :

الكتيبات الإسلامية
www.ktibat.com



كتاب طلب المعرفة

مقدمة

الحمد لله على نعمه الظاهرة والباطنة قدِيماً وحديثاً، والصلوة والسلام على نبيه ورسوله محمد وآلـه وصحبه الذين ساروا في نصرة دينه سيراً حثيثاً، وعلى أتباعهم الذين ورثوا علمـهم - العلماء ورثة الأنبياء - أكرمـهم وارثـاً وموروثـاً.

أما بعد: فهذا مختصر لكتاب حلية طالب العلم للشيخ العـلامـة أبي عبد الله بكر بن عبد الله أبو زيد حفظهـ الله، وهو كتاب نافع عظيم في بـابـه، ولـما كانت عباراته جـزـلة وـكلـمـاتـه قـوـية بـصـعـبـ على صغارـ الطـلـابـ فـهـمـهـا وـاسـتـيعـابـهـاـ، اـرـتـأـيـتـ - مع قـلـةـ البـضـاعـةـ وـالـزادـ فيـ الـعـلـمـ - أـنـ أـخـتـصـرـ هـذـاـ الكـتـابـ لـيـصـبـحـ كـالـمـنـ، تـحـفـظـ عـبـارـاتـهـ بـشـكـلـ سـهـلـ وـمـيـسـرـ، فـأـبـقـيـتـ عـلـىـ العـنـاوـينـ الرـئـيـسـيـةـ وـالـفـرـعـيـةـ وـحـذـفـ الشـوـاهـدـ الـكـثـيرـةـ وـالـعـبـارـاتـ الـاسـطـرـادـيـةـ لـلـمـؤـلـفـ، ثـمـ قـيـدـتـ بـعـضـ الـفـوـائـدـ مـنـ شـرـحـ فـضـيـلـةـ الشـيـخـ العـلـامـ مـحـمـدـ بـنـ صـالـحـ العـثـيمـيـنـ حـفـظـهـ اللـهـ وـفـوـائـدـ أـخـرـىـ مـاـ سـمـعـنـاهـ مـنـ كـلـامـ أـهـلـ الـعـلـمـ فـيـ هـذـاـ المـقـامـ، وـلـقـدـ سـرـيـ كـثـيرـاـ أـنـ الشـيـخـ بـكـرـ بـنـ عـبـدـ اللـهـ أـبـوـ زـيدـ اـطـلـعـ عـلـيـهـ وـصـحـحـهـ وـأـجـازـهـ بـقـوـلـهـ: «وـجـدـتـهـ وـافـيـاـ منـاسـبـاـ لـلـمـبـتـدـئـينـ»ـ فـحـزـاهـ اللـهـ خـيـراـ.

أـسـأـلـ اللـهـ أـنـ يـوـقـنـ الـجـمـيـعـ لـمـاـ يـحـبـهـ وـيرـضـاهـ، وـيـجـعـلـ أـعـمـالـنـاـ خـالـصـةـ لـوـجـهـ الـكـرـيمـ.

وـصـلـىـ اللـهـ عـلـىـ نـبـيـنـاـ مـحـمـدـ وـعـلـىـ آـلـهـ وـصـحـبـهـ وـسـلـمـ.

كتبه الفقير إلى عفو ربه
طه بن حسين بأفضل
غيل باوزير حضرموت

أولاً: آداب الطالب في نفسه

١- العلم عبادة:

اعلم أيها الطالب الجدد أن العلم عبادة؛ فلابد من إخلاص النية لله عز وجل لقوله سبحانه: **﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾** [البيت: ٥]، قوله ﷺ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالَ بِالنِّيَاتِ...»، وقال بعض العلماء: «العلم صلاة السر وعبادة القلب». فاحذر من كل ما يصيب نيتك في صدق الطلب؛ كحب الظهور والتتفوق على القرآن، أو جعل العلم سلماً للحصول على جاهٍ، أو مال، أو تعظيم، أو سمعة، أو صرف وجوه الناس إليك. وابذل الجهد في الإخلاص، وكن على خوف شديد من نواضجه؛ فقد قال سفيان الثوري رحمه الله: «ما عالجت شيئاً أشد علىَّ من نيتها».

ومع إخلاص النية فاعمر قلبك بمحبة الله ومحبة رسوله ﷺ؛ وذلك بمتابعته واقتفاء أثره؛ فقد قال تعالى: **﴿فَلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحْبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحِبِّكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾** [آل عمران: ٣١].

٢- كن على جادة السلف الصالح:

وهم الصحابة والتابعون وتبعوا التابعين فمن بعدهم من قفا أثراً لهم في جميع أمور الدين، وهؤلاء هم أهل السنة والجماعة^(١)؛ فكن متميزاً بالتزام آثار رسول الله ﷺ وترك المجدال والمراء والخوض في علم الكلام، وما يجلب الآثام ويصد عن الشرع.

(١) منهاج السنة (١٥٨/١٥).

٣- الرم خشية الله:

عليك بعمارة ظاهرك وباطنك بخشية الله تعالى؛ محافظاً على شعائر الإسلام، وإظهار السنة ونشرها بالعمل بها والدعوة إليها؛ فكن دالاً على الله بعلمك وسمتك وعملك، وأعلم أن أصل العلم خشية الله تعالى - كما قال الإمام أحمد - فالزمها في السر والعلن؛ فإن خير البرية من يخشى الله تعالى، وما يخشاه إلا عالم، والعالم لا يعد عالماً إلا إذا كان عاملًا، ولا يعمل العالم بعلمه إلا إذا لزمه خشية الله، وقد قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «هتف العلم بالعمل فإن أجا به وإنلا ارتحل».

٤- دوام المراقبة:

تحل بدوام المراقبة لله تعالى في سرّك وعلانيك، وسر إلى ربك بين الخوف والرجاء، وأقبل عليه بكلينيك، وأملأ قلبك بمحبته ولسانك بذكره واستبشر بأحكامه وحكمه سبحانه.

٥- خفض الجناح ونبذ الخيالء والكرياء:

إياك والخيالء؛ وهي الإعجاب بالنفس مع إظهار ذلك بالبدن؛ فإنه نفاق وكرياء، واحذر داء الجبايرة؛ الكبير: وهو بطر الحق وغمط الناس، وهو مع الحرص والحسد أول ذنب عصي الله به؛ فلا تتطاول على معلمك ولا تستنكف عنمن يفيدك من هو دونك، ولا تقصير في العمل بالعلم؛ فكل ذلك كبير وعنوان حرام؛ فعليك أن تلتتصق بالأرض وأن تهضم نفسك وترغمها عند الاستشراف لكرياء، أو غطرسة، أو حب ظهور أو عجب؛ فإن هذه آفات العلم القاتلة له، وتحل بآداب النفس؛ من العفاف، والحلم، والصبر، والتواضع للحق ذليلاً له؛ مع الوقار والرزانة، متحملاً ذل التعلم

لعزة العلم.

٦- القناعة والزهادة:

اقنع بما آتاك الله عز وجل وتحل بالزهد، واعلم أن حقيقته الزهد بالحرام، والكف عن المشبهات وعن التطلع إلى ما في أيدي الناس؛ فكن معتدلاً في معاشك بما لا يشينك، ولا ترد مواطن الذلة والهون.

٧- التحلّي برونق العلم:

رونق العلم هو حسن السمت والم Heidi الصالح بدوام السكينة والوقار والخشوع والتواضع؛ فقد كان السلف كما قال ابن سيرين رحمه الله يتعلمون المهدى كما يتعلمون العلم.

فيما طالب العلم تجنب اللعب والعبث والتبدل في الحال بالضحك والقهقة وكثرة التنادر؛ فإن المراح والضحك يضع من القدر، ويزيل المروءة، ويؤخر الصدر، ويجلب الشر. وقد قيل: «من أكثر من شيء عرف به»، وقال عمر رضي الله عنه: «من ترین بما ليس فيه شأنه الله».

٨- تخل بالمرءة:

المروءة فعل ما يحمل الإنسان ويزينه عند الناس، واجتناب ما يقبحه ويشينه؛ فعليك بها وما يحمل إليها من مكارم الأخلاق وطلاقه الوجه، وإفشاء السلام وتحمل الناس وغير ذلك، وابتعد عن خوارتها في طبع أو عمل؛ من حرفة مهينة، أو صفة رديئة؛ كالعجب والرياء، واحتقار الآخرين، وغشيان مواطن الريب والتهم، فرحم الله امرأ كف الغيبة عن نفسه.

٩- التمتع بخصال الرجولة:

كالشجاعة، وشدة البأس في الحق ومكارم الأخلاق، والبذل في سبيل المعروف من مال أو جاه أو علم، واحذر نواقضها من ضعف الجأش، وقلة الصبر، وضعف المكارم؛ فإنها تضمن العلم وتقطع اللسان عن قول الحق.

١٠ - هجر الترف:

لا تكثر من التنعم والرفاهية؛ فإن البذادة من الإيمان كما صر عن النبي ﷺ، وقال عمر رضي الله عنه: «إياكم وزي العجم وتمعددوا واحشو شنوًا..».

فالحلية في الظاهر كاللباس عنوان على انتماء الشخص، وتحديد له، بل هو وسيلة من وسائل التعبير عن الذات؛ فخذ من اللباس ما يريئنك ولا يشينك، واجعل ملمسك وكيفية لبسك يلتقيان مع شرف ما تحمله من العلم الشرعي، وكان عمر رضي الله عنه يقول: «أحب إلى أن أنظر القارئ أبىض الشياب»، واعلم أن الناس يصنفونك من لباسك؛ بل إن كيفية اللبس تعطي للناظر تصنيف اللابس من الرصانة والتعقل والتمشيخ والرهبة والتصابي وحب الظهور.

فإياك ثم إياك من لباس التصابي واللباس الإفرنجي الذي لا يخفى عليك حكمه، وليس معنى هذا أن تأتي بلباس مشوهة؛ لكنه الاقتصاد في اللباس برسم الشرع.

١١ - الإعراض عن مجالس اللغو:

ابتعد عن مجالس اللغو التي لا فائدة فيها، واعلم أنها تهتك أستار الأدب، فإن فعلت ذلك فإن جنابتك على العلم وأهله عظيمة.

١٢ - الإعراض عن الهيشات:

صن نفسك أيها الطالب من اللعنة والهيشات؛ لأنها تشتمل

على السبّ والشتم وغير ذلك من الأخلاق القبيحة، وهذا ينافي أدب الطلب.

١٣ - التحلي بالرفق:

تجنب الكلمة الجافحة في خطابك واجعله ليناً، وكذا تجنب الفعل الجافي حتى تتألف النفوس الناشرة، والأدلة في ذلك كثيرة، وكما يقولون: «الكلام اللين يغلب الحق البين». فكن أيها الطالب رفيقاً من غير ضعف، عنيفاً في مواضع العنف، وإذا دار الأمر بينهما فالأولى الرفق ^(١).

١٤ - التأمل:

عليك بالتأنى والترىث في كلامك وأفعالك، وتأمل عند التكلم بماذا تتكلم وما هي عائدته، وتأمل عند المذاكرة [المناظرة] كيف تختار القالب المناسب للمعنى المراد، وكذا عد سؤال السائل كيف سؤاله على وجهه حتى لا يتحمل وجهين، وأيضاً تأمل كذلك عند الجواب ^(٢).

١٥ - الشبات والثبت:

عليك الصبر والثبات في التلقي؛ لا تمل ولا تضجر، واطو الساعات في الطلب على الأشياخ، وكذا عليك بالثبت فيما يصل إليك من أخبار وفيما ينقل عنك من أحكام.

ثانيًا: كيفية الطلب والتلقي

١٦ - كيفية الطلب والتلقي ومراتبه:

لابد من التأصيل والتأسيس آخذًا في ذلك بالدرج؛ كما قال

(١) شرح محمد بن صالح العثيمين ش ٢.

(٢) المرجع السابق.

تعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَسْرِئَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦]؛ فلابد أيها الطالب من مراعاة الأمور الآتية في كل فن تطلبه:

(١) حفظ مختصر فيه.

(٢) ضبطه على شيخ متقن أمين.

(٣) عدم الاشتغال بالمطولات وتفاريق المصنفات قبل الضبط والإتقان لأصله.

(٤) لا تنتقل من مختصر إلى آخر فتضجر.

(٥) اقتناص الفوائد والضوابط العلمية.

(٦) جمع النفس للطلب والترقي فيه مع الاهتمام والتحرق للتحصيل والبلوغ لما فوقه.

* واعلم أن المقدم على ذلك كله هو حفظ القرآن الكريم ودؤام مراجعته حتى يثبت، أما الخلط في التعليم بين علمين فأكثر فهذا يختلف باختلاف المتعلمين في الفهم والنشاط. وإليك أيها الطالب نماذج للكتب التي ينبغي للطالب أن يتدرج عليها في رحلته لطلب العلم:

ففي توحيد العبادة ثلاثة الأصول وأدلتها، والقواعد الأربع، وكشف الشبهات، ثم كتاب التوحيد أربعمائة لليشخ محمد بن عبد الوهاب.

وفي توحيد الأسماء والصفات: الواسطية والحموية والتدمرية ثلاثتها لابن تيمية ثم الطحاوية مع شرحها.

وفي النحو: الآجرورية ثم ألفية ابن مالك مع شرحها لابن عقيل.

وفي الحديث: الأربعون النووية ثم عمدة الأحكام للمقدسي أو بلوغ المرام لابن حجر؛ فالدخول في الأمات الست.

وفي المصطلح: خبطة الفكر لابن حجر ثم ألفية العراقي.

وفي الفقه: آداب المشي إلى الصلاة للشيخ محمد بن عبد الوهاب، ثم زاد المستقعن للحجاوي رحمه الله تعالى أو عمدة الفقه، ثم المقنع للخلاف المذهبى، فالمغني للخلاف العالى، ثلاثة ابن قدامة رحمه الله تعالى ^(١).

وفي الأصول: الورقات للجويني ثم روضة الناظر لابن قدامة.

وفي الفرائض: الرحيبة للرحبي.

وفي السيرة: مختصرها لمحمد بن عبد الوهاب، ثم سيرة ابن هشام، وكذا زاد المعاد لابن القيم.

وفي لسان العرب: العناية بالأشعار كالمعلقات السبع والمرور على القاموس للفيروزآبادى.. وهكذا في مراحل الطلب.

فهذه هي أصالة الطلب؛ وذلك من خلال دراسة المختصرات المعتمدة وحفظها؛ لا على الاعتماد على الفهم فحسب؛ فلا بد من الأمرين معًا، ولابد من خلو التلقين من الزغل والشوائب والكدر سيرًا على منهاج السلف.

١٧ - تلقي العلم على الأشياخ:

طريقة التلقين والتلقي عن الأسانيد والأخذ من أفواه الرجال لا

(١) وهذا ويمكن لأصحاب المذهب الشافعى العودة إلى متن الغاية والتقريب لأى شجاع ثم شرحه لابن قاسم أو كفاية الأخيار ثم فتح المعين لشرح قرة العين للمليباري ثم منهاج للنبوى وله عدة شروح منها السراج الوهاج والمغني وغيره.

من الصحف، وبطون الكتب هي الأصل في الطلب؛ فقد قيل: «من دخل في العلم وحده خرج وحده»؛ إذ العلم صنعة، وكل صنعة تحتاج إلى صانع؛ فلابد إذن لتعلمها من معلمها الحاذق، والدليل على ذلك أن آلاف الترجم و والسير على مدار التاريخ مشحونة بتسمية الشيوخ والتلاميذ ومستقل من ذلك ومستكثرا.

ثالثاً: أدب الطالب مع شيخه

١٨ - رعاية حرمة الشيخ:

ليكن شيخك ومعلمك محل إجلال منك وتقدير وتلطف، فتأدب في جلوسك معه، والتحدث إليه، وحسن السؤال والاستماع وحسن الأدب في تصفح الكتاب أمامه ومع الكتاب، ولا تتقدم عليه بكلام أو مسیر، أو إكثار الكلام عنده، أو المداخلة أثناء حديثه ودرسه بكلام منك أو إلحاح عليه في جواب، متجنبًا الإكثار من السؤال؛ خاصة مع كثرة الناس؛ لئلا تفتر أنت ويميل هو، ولا تناوه باسمه مجرداً بل قل يا شيخنا أو أستاذنا، ولا تناوه من بعد من غير اضطرار، والتزم توقير المجلس وإظهار السرور من الدرس والإفادة به، وإذا بدا لك خطأ من الشيخ فلا يسقطه ذلك من عينيك؛ فإنه سبب لحرمانك من علمه، واحذر من امتحان الشيخ على القدرة العلمية والتحمل؛ فإن هذا يضجره، وإذا أردت الانتقال إلى شيخ آخر فاستأذنه بذلك وأعلمه لأنه بقدر رعاية حرمه يكون النجاح والنجاح، وبقدر الفوت يكون الإخفاق.

١٩ - رأس مالك أيها الطالب من شيخك:

القدوة بصالح أخلاقه وكريم شمائله؛ فإذا أحببته فلا يدفعك حبه أن تقلده بصوت، أو نغمة أو مشية أو حركة أو هيئة، إلا إذا

كانت مشيته تشبه مشية النبي ﷺ فلا بأس أن تقلده فيها فإن ذلك من الاتباع^(١).

٢٠ - نشاط الشيخ في درسه:

ويكون على قدر مدارك الطالب في استماعه، وجمع نفسه، وتفاعل أحاسيسه مع شيخه في درسه؛ فلا تكن وسيلة قطع لعلمه بالكسل والفتور والاتكاء وانصراف الذهن وفتوره.

٢١ - الكتابة عن الشيخ حال الدرس والمذاكرة:

وهي تختلف من شيخ إلى آخر، ولها آداب وشروط.. أما الآداب فينبغي لك أن تعلم شيخك أنك ستكتب أو كتبت ما سمعته مذاكرة؛ أما الشرط فتشير إلى أنك كتبته من سماعه من درسه.

٢٢ - التلقى من المبدع:

احذر [أبا جهل] المبدع، الذي مسه زيف العقيدة وغضبيه سحب الخرافية يحكم الهوى ويسميه العقل، ويعدل عن النص ويستمسك بالضعف، ويبعد عن الصحيح، ولقد بلغ السلف مبلغاً في التحذير من المبتدة فكانوا رحمة الله يحتسبون الاستخفاف بهم وتحقيرهم ورفض المبدع وبدعته؛ بل يحذرون من مخالطتهم ومشاورتهم ومؤاكلتهم، وكان منهم من لا يصلى على جنازة مبتدع فيصرف، ومنهم من ينهى عن الصلاة خلفهم وينهى عن حكاية بدعهم؛ لأن القلوب ضعيفة والشهوة خطافة؛ بل كانوا يطرودهم من مجالسهم كما في قصة الإمام مالك مع من سأله عن كيفية الاستواء.

(١) ش محمد بن صالح العثيمين ش ٣.

وأخبار السلف متکاثرة في النفرة من المبتدةة وهجرهم؛ حذرًا من شرهم وتحجيمًا لانتشار بدعهم وكسرًا لنفوسهم؛ حتى تضعف عن نشر الشر، ولأن معاشرة السيني للمبتدع تزكية له لدى المبتدئ والعامي، وقد كان ابن المبارك رحمه الله يسمى المبتدةة [الأصغر]، ويقال لهم أيضًا: أهل الشبهات وأهل الأهواء.

فإن كنت في السعة والاختيار فلا تأخذ عن مبتدع: راضي، أو خارجي، أو مرجي، أو قدربي، أو قبوري؛ فإنك لن تبلغ مبلغ الرجال صحيح العقد في الدين متبن الاتصال بالله صحيح النظر تقفو الأثر - إلا بھجر المبتدةة وبدعهم؛ وأما إن كنت في دراسة نظامية لا خيار لك فاحذر منه مع الاستعاذه من شره باليقظة من دسائسه على حد قوله: «اجن الشمار وألق الخشب في النار». والأمر في هجر المبتدع يبني على مراعاة المصالح وتكتيرها، ودفع المفاسد وتقليلها، وعلى هذا تتزلل المشروعية كما حررهشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في مواضع.

رابعًا: آدابُ الزمالة

٢٣ - احذر قرین السوء:

إذ إن الطبيعة نقالة والطبع سرقة والصاحب ساحب، والناس محبولون على التشبه بعضهم ببعض، وعليه فتخير من يعينك على مطلبك ويقربك إلى ربك ويوافقك على شريف غرضك ومقصدك؛ فإن الصديق أقسام: صديق منفعة، وصديق لذة، وصديق فضيلة؛ فال الأولان منقطعان بانقطاع موجبهما؛ أما الثالث فالتعوييل عليه، وهو الذي باعث صدقته تبادل الاعتقاد في رسوخ الفضائل لدى كل منهمما، وهذا النوع عملة صعبة يعز الحصول عليها، وفي ذلك

يقول هشام بن عبد الملك: «ما بقي من لذات الدنيا شيء إلا أخ
أرفع مؤونة التحفظ بيديه وبينه».

خامساً: آداب الطالب في حياته العلمية

٤- كبر الهمة في العلم:

ارسم لنفسك كبر الهمة لترقى إلى درجات الكمال؛ فيجري في عروقك دم الشهامة والركض في ميدان العلم والعمل؛ فلا يراك الناس واقفاً إلا على أبواب الفضائل، ولا باستطاعتك إلا لمهما الأمور، وردد مقوله إمام أهل السنة أحمد بن حنبل رحمه الله: «مع الحيرة إلى المقبرة». ولا تغلط فتخلط بين كبر الهمة والكبر؛ فإن بينهما من الفرق كما بين السماء ذات الرجع والأرض ذات الصدع؛ فال الأول حلية ورثة الأنبياء، والثاني داء المرضى بعلة الجبابرة المؤسأء.

٥- النهمة في الطلب:

عليك بالاستكثار من ميراث النبي ﷺ وابذر الوسع في الطلب والتحصيل والتدقيق، ومهما بلغت في العلم فلتذكر قول القائل: «كم ترك الأول للآخر» وقول الشافعي رحمه الله: «كلما ازددت علمًا زادني علمًا بجهلي».

٦- الرحلة للطلب:

إذا أردت أيها الطالب أن تتأهل في العلم فلا بد من رحلة إلى أهل العلم؛ لأن هؤلاء العلماء الذين مضى وقت في تعلمهم وتعليمهم والتلقي عنهم لديهم من التحريرات والضبط والنكبات العلمية والتجارب ما يعز الوقوف عليه أو على نظائره في بطون الأسفار، واحذر القعود عن هذا على مسلك المتصوفة البطاليين

الذين يفضلون (علم الخرق) على (علم الورق)؛ فإنهم لا للإسلام نصروا، ولا للكفر كسروا؛ بل فيهم من كان بأساً وبلاءً على الإسلام.

٢٧ - حفظ العلم كتابة:

اعلم أن تقييد العلم بالكتابة أمان من الضياع، وقصر المسافة البحث عند الاحتياج؛ لا سيما في مسائل العلم التي تكون في غير مطانها، ومن أجل فوائده أنه عند كبير السن وضعف القوى يكون لديه مادة تأخذ منها مادة تكتب فيها بلا عناء في البحث والقصي، ويكون ذلك بأمرين:

الأول: اجعل لك مذكرة تقييم الفوائد والفرائد والأبحاث المنثورة في غير مطانها.

الثاني: استعمال غلاف الكتاب لتقييد ما فيه من ذلك، ثم تنقل ما يجتمع لك في مذكرة مرتبًا على الموضوعات مقيداً رأس المسألة وأسم الكتاب ورقم الصفحة والمجلد واكتب على ما قيدته [نقل]؛ حتى لا يختلط مع غير ما نقل. قال الشعبي: «إذا سمعت شيئاً فاكتبه ولو في الحائط».

٢٨ - حفظ الرعاية:

اجعل حفظك للعلم حفظ رعاية لا حفظ روایة؛ فإن رواة العلوم كثير ورعاها قليل، ولا يكون ذلك إلا بالعمل والاتباع والبعد عن المفاحرة والمباهة به، وأن لا يكون القصد في ذلك نيل الرئاسة واتخاذ الأئمة وعقد المجالس، وسبيلاً إلى نيل الأغراض وأخذ الأعواض، فالإخلاص الإخلاص في الطلب وحسبك به.

٢٩ - تعاهد المحفوظات:

تعاهد علمك من وقت إلى آخر؛ فإن عدم التعاهد عنوان الذهاب مهما كان وتذكر قوله ﷺ: «إغا مثل صاحب القرآن كمثل صاحب الإبل المعلقة، إن عاهد عليها أمسكها وإن أطلقها ذهبت». فإذا كان القرآن الميسر للذكر يذهب إذا لم يتعاهد بما ظنك بغيره من العلوم المعهودة؟! وخير العلوم ما ضبط أصله، واستذكر فرعه، وقاد إلى الله تعالى ودل على ما يرضاه.

٣٠ - التفقه بتخريج الفروع على الأصول:

تحل بالنظر والتفكير والفقه والتفقه؛ لتصل بإذن الله إلى ما يسميه الفقهاء (فقيه النفس)؛ وهو الذي يعلق الأحكام بمداركها الشرعية، فعليك بتخريج الفروع على الأصول وتمام العناية بالقواعد العامة، واجمع للنظر في فرع ما بين تتبعه وإفراغه في قالب الشريعة العام من قواعدها وأصولها المطردة؛ كقواعد المصالح، ودفع الضرر والمشقة وجلب التيسير وسد باب الحيل وسد الذرائع؛ فإن هذا يسعفك في مواطن المضائق.

فالفقيه هو من تعرض له النازلة لا نص فيها فيقتبس لها حكمًا، ولشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رحمهما الله فصول مهمة في ذلك من نظر في كتب هذين الإمامين سلك به النظر إلى التفقه طريقًا مستقيماً.

٣١ - اللجوء إلى الله تعالى في الطلب والتحصيل:

لا تفزع أو تكثرت إذا لم يفتح لك في علم من العلوم؛ فقد تعاصت بعض العلوم على بعض الأعلام المشاهير، فضاعف الرغبة، وافزع إلى الله في الدعاء واللجوء إليه والانكسار بين يديه.

٣٢ - الأمانة العلمية:

يجب على طالب العلم الفائق التحلي بالأمانة العلمية في الطلب والتحمل والعمل والبلاغ والأداء؛ فكن أمينا فيما تروي وتصف، فلا ترو ما لم تسمع، ولا تصف ما لم تعلم.

٣٣ - الصدق:

تعلم رحمك الله الصدق قبل أن تتعلم العلم، والصدق إلقاء الكلام على وجه مطابق للواقع والاعتقاد، ونقضيه الكذب؛ وهو ضرورة وألوان وأوديا يجمعها ثلاثة:

- ١ - كذب المتكلق.. وهو ما يخالف الواقع والاعتقاد كمن يتملق لمن يعرفه فاسقاً أو مبتدعاً فيصفه بالاستقامه.
- ٢ - كذب المنافق.. وهو ما يخالف الاعتقاد ويطابق الواقع كالمنافق ينطق بما يقوله أهل السنة والهدایة.
- ٣ - كذب الغبي.. بما يخالف الواقع ويطابق الاعتقاد كمن يعتقد صلاح صوفي مبتدع فيصفه بالولایة.

واحدر أن تحوم حولك الضنون فتخونك العزيمة في صدق اللهجة فتسجل في قائمة الكاذبين، والضمان لهذا: إن نازعتك نفسك بكلام غير صادق فيه ذكرها بمترلة الصدق وشرفه ورذيلة الكذب وأن صاحبه عن قريب ينكشف، وكذا احذر الإكثار من المعارض فتترافق إلى الكذب.. ومن تطلع إلى سمعة فوق مترلته فليعلم أن في المرصاد رجالاً يحملون بصائر نافذة وأقلاماً ناقدة فيزنون السمعة بالأثر فتعرى عن ثلاثة معان:

- ١ - فقد الثقة من القلوب.
- ٢ - ذهاب علمك وانحسار القبول.
- ٣ - أن لا تصدق ولو صدقت.

٤٣- جنة الطالب..

قولك (لا أدرى) جنة لك وواقية ويهتك حجامها أن تستنكف منها، وقولك (يُقال)؛ فإن نصف الجهل (يُقال) و (أظنُّ) ونصف العلم (لا أدرى).

٤٤- الحافظة على رأس مالك (ساعات عمرك) ..

الوقت الوقت للتحصيل فحافظ عليه بالجذد والاجتهاد، وملازمة الطلب، ومزاحمة الأشياخ بالركب، والاشتغال بالعلم قراءة ومطالعة وتدبرًا وحفظاً وبحثاً لا سيما في أوقات الشباب ومقبل العمر؛ لقلة الشواغل والصوارف عن التزامات الحياة والترؤس، ولخفة الظهر والعيال، وإياك والتسويف على نفسك؛ فلا تسوف لنفسك بعد الفراغ من كذا وبعد التقاعد من العلم هذا.. بل البدار قبل أن تفوت ساعات عمرك.

٤٥- إjection النفس:

خذ من وقتك سويقات تجمّع بها نفسك في رياض العلم من كتب المحاضرات (الثقافة العامة)؛ فإن القلوب يروح عنها ساعة فساعة كما قال علي عليه السلام: «أجموا هذه القلوب وابتغوا لها طرائف الحكمة؛ فإنها تملّك كل الأبدان». ولشيخ الإسلام كلام مفيد في هذا فليراجع^(١)، ولهذا أيضًا كانت العطل الأسبوعية للطلاب منتشرة منذ أمد بعيد.

٤٦- قراءة التصحح والضبط:

احرص على هذا الأمر ولكن على شيخ متقن لتأمين التحرير

(١) مجموع الفتاوى (٢١٧، ١٨٧/٢٣).

والتصحيف والغلط والوهم؛ فإن من سبق قد قرأ المطولات في مجالس أو أيام قراءة ضبط على شيخ متقن كما فعل ابن حجر رحمه الله؛ فقد قرأ صحيح البخاري في عشرة مجالس كل مجلس عشر ساعات، وصحيح مسلم في أربعة مجالس نحو يومين وشيء من بكرة النهار إلى الظهر.

٣٨ - جرد المطولات:

عليك بهذا السبيل لكي تتعدد معارفك وتوسيع مداركك وتستخرج الفوائد والفرائد وتزداد خبرة في الأبحاث والمسائل ومعرفة طرائق المصنفين وأصطلاحهم فيها.

٣٩ - حسن السؤال:

التزم أدب المباحثة من حسن السؤال، فالاستماع، فصحة الفهم للجواب، وإياك إذا حصل الجواب أن تقول: لكن الشيخ فلان قال لي كذا. أو: قال كذا. لئلا تضرب أهل العلم بعضهم ببعض، فاحذر هذا، وإن كان لابد فكن واضحاً في السؤال وقل: إن قال قائل، أو ما رأيك في الفتوى بكلدا، ولا تسم أحداً.

٤٠ - المانظرة بلا مماراة:

إن المانظرة في الحق نعمة لما فيها من إظهار الحق على الباطل والراجح على المرجوح، مبنية على المناصحة والحلم ونشر العلم، وإياك والمماراة فهي نعمة وتحجج ورياء ولغط وكبراءة وغالبة واختيار وشحنة ومجاراة للسفهاء فاحذرها واحذر فاعلها وأعرض تسليم.

٤١ - مذاكرة العلم:

عليك بها فهي في مواطن تفوق المطالعة وتشحد الذهن وتقوي

الذاكرة والتزام الإنصاف والملاطفة مبتعداً عن الحيف والشعب، وكن على حذر، فإنها تكشف عوار من لا يصدق، وأما مع قاصر في العلم بارد الذهن فهي داء ومنافرة، ومذاكرتك مع نفسك أمر لا يسوغ أن تنفك عنه، وقد قيل: «إحياء العلم مذاكرته».

٤ - طالب العلم يعيش بين الكتاب والسنة وعلومهما:

فهمما له كاجناحين للطائر فاحذر أن تكون مهيب الجناح.

٤٣ - استكمال أدوات كل فن:

قال تعالى: **﴿الَّذِينَ أَتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتَلَوَّنَهُ حَقَّ تِلَاقِهِ﴾**؛ دلت هذه الآية على أن الطالب لا يترك علمًا حتى يتقنها ويستكمل أدواته؛ ففي الفقه بين الفقه وأصوله، وفي الحديث بين علمي الرواية والدرائية.. وهكذا.

٤٤ - سادساً: التحلی بالعمل

٤٤ - من علامات العلم النافع:

- ١ - العمل به.
- ٢ - كراهيّة الترکية والمدح والتکبر على الخلق.
- ٣ - تکاثر تواضعك كلما ازدت علمًا.
- ٤ - الهرب من حب الترؤس والشهرة والدنيا.
- ٥ - هجر دعوى العلم.
- ٦ - إساءة الظن بالنفس وإحسانه بالناس تترهًا عن الوقوع بهم.

٤٥ - زکاة العلم:

أد (زكاة العلم) صادعاً بالحق، أماراً بالمعروف، نهاءً عن المنكر، موازنًا بين المصالح والمضار، ناشراً للعلم وحب النفع وبذل الجاه والشفاعة لل المسلمين في نواب الحق والمعروف، ولشرف العلم؛ فإنه

يزيد لكثره الإنفاق وينقص مع الإشفاق، وآفته الكتمان، ولا تحملك دعوى فساد الزمان وغلبة الفساق وضعف إفادة النصيحة عن واجب الأداء والبلاغ؛ فإن ذلك مما يفرح الفساق ليتم لهم الخروج عن الفضيلة ورفع لواء الرذيلة.

٤٦ - عزة العلماء:

صن العلم وعظمه واحم جناب عزّه وشرفه، فبقدر ما تبذله في هذا يكون الكسب منه ومن العمل به، وبقدر ما تقدره يكون الفوت؛ فلا تسع به إلى أهل الدنيا، ولا تقف به على اعتابهم، ولا تبذل إلى غير أهله وإن عظم قدره، وإياك أن يمطئيك السفهاء ويتمندل بك الكبراء فتلاين في فتوى أو قضاة أو بحث أو خطاب، وإن أردت الشواهد على ذلك فعليك بقراءة التراجم والسير، واحفظ قصيدة القاضي الجرجاني في ذلك.

٤٧ - صيانة العلم: إن بلغت منصبًا فاعلم أنها وصلت إليه بفضل الله ثم بسبب علمك بلغت ما بلغت من ولاية في التعليم أو الفتيا؛ فلا تجعل الأساس حفظ المنصب؛ فنطوي لسانك من قول الحق، ولا يحملك حب الولاية على المحارة؛ فحافظ على قيمتك بحفظ دينك وعلمك وشرف نفسك بحكمة ودرأة وحسن سياسة.

٤٨ - المداراة لا المداهنة:

المداهنة خلق منحط؛ أما المداراة فلا، لكن لا تخلط بينهما فتحملك المداهنة إلى خلق النفاق مجاهرة، والمداهنة هي التي تمس دينك.

٤٩ - الغرام بالكتب:

لقد اشتد غرام الطلاب بجمع الكتب مع الاتقاء؛ لعرفتهم

لأهمية طلب العلم وحصول اللذة والسرور بقدر تحصيله، وظهور النقص بقدر نقصه، وفي هذا أخبار تطول، وإياك أن تشحذ مكتبتك بكتب المبتدة؛ فهي غثاء وتشويش على الفكر وسم نافع فاحذرها.

٥٠ - قوام مكتبتك:

عليك بكتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، وكذا كتب ابن عبد البر وابن قدامة والذهبي وابن كثير وابن حجر وابن رجب والشوكاني والصنعاني ومحمد بن عبد الوهاب ومحمد الأمين الشنقيطي.

٥١ - التعامل مع الكتاب:

عليك بمعودة الكتاب؛ فإنها كاشفة عن اصطلاح مؤلفه، وبذلك تحصل الفائدة من الكتاب.

٥٢ - ومنه:

أن لا تدخل في مكتبتك الكتاب حتى تمر عليه جرداً بقراءة مقدمته وفهرسه ومواضع منه؛ فربما مر زمان وفات العمر دون النظر فيه، وهذا بحسب.

٥٣ - إعجام الكتابة:

ويكون بأمور:

- ١ - وضوح الخط.
- ٢ - رسمه على ضوء قواعد الرسم - الإملاء.
- ٣ - النقط للمعجم والإهمال للمهممل.
- ٤ - الشكل لما يشكل.
- ٥ - تثبيت علامات الترقيم في غير آية أو حديث..

سابعاً: المحاذير

٤ - حلم اليقظة:

وهو أن تدعى العلم بما لم تعلم أو إتقان ما لم تتقن؛ فذلك حجاب كثيف عن العلم.

٥٥ - أحذر أن تكون (أبا شبر):

فقد قيل: العلم ثلاثة أشبار: من دخل في الشبر الأول تكبر، ومن دخل في الشبر الثاني تواضع، ومن دخل في الشبر الثالث علم أنه ما يعلم.

٥٦ - التصدر قبل التأهل:

وقد قيل: من تصدر قبل أوانه فقد تصدى لهوانه.

٥٧ - التنمر في العلم:

وذلك بأن تراجع مسألة أو مسائلتين؛ فإذا كنت في مجلس فيه من يشار إليه، أثرت البحث فيها لظهور علمك، ويكفيك أن الناس يعلمون حقيقتك، فاحذر ذلك.

٥٨ - تخbir الكاغد:

لا تشتعل بالتصنيف قبل استكمال أدواته واتكمال أهليتك والنضوج على يد أشياخك وتعدد معارفك والتمرس بالتأليف بحثاً ومراجعة ومطالعة وجرداً مطولاً وحفظاً لختصراته واستذكاراً لمسائله.

٥٩ - موقفك من وهم من سبقك:

إن المنصف يجزم أنه ما من إمام إلا وله أغلاط وأوهام؛ فإن ذلك يغمر في بحر علمه وفضله؛ فلا تشر الشغب عليه والتنقص منه والحط عليه؛ فإذا ظفرت بوهم له فلا تفرح للحط منه ولكن التمس

العذر له وصحح الخطأ.

٦٠ - دفع الشبهات:

اجتنب إثارة الشبه وإبرادها على نفسك أو غيرك؛ فإنها خطافة، والقلوب ضعيفة، وأكثر من يلقاها المبتدةعة فاحذرهم.

٦١ - احذر اللحن:

فإن عدم اللحن جلالة، وصفاء ذوق، ووقف على ملاح المعاني لسلامة المباني، فاحذر ذلك في اللفظ والكتب.

٦٢ - الإجهاض الفكري:

لا تخرج الفكرة إلا بعد نضوجها واكتمالها؛ فإن ذلك إجهاض لفكرك.

٦٣ - الإسرائيليات الجديدة:

وهي ما نفته المستشركون من يهود ونصارى؛ فهي أعظم خطرًا من الإسرائيليات القديمة؛ فإن هذه قد اتضح أمرها ببيان النبي ﷺ الموقف منها، ونشر العلماء القول فيها؛ أما الجديدة فهي شر محض بلاء متدفع، فاحذر أن تقع فيها.

٦٤ - احذر الجدل البيزنطي:

أي الجدل العقيم الضئيل الذي يصد عن السبيل، وهدي السلف الكف عن كثرة الخصام والجدال، وأن التوسع فيه من قلة الورع؛ كما قال الحسن: «هؤلاء ملوا العبادة وخف عليهم القول وقل ورعنهم فتكلموا».

٦٥ - لا طائفية ولا حزبية يعقد الولاء والبراء عليها:

أهل الإسلام ليس لهم سمة سوى الإسلام:
أبي الإسلام لا أب لي سواه

إذا افتحت روا بقى ميس أو تميم
فاحذر يا طالب العلم من الحزبية وفر منها فرارك من الأسد؛
فإنها أعظم العوائق عن العلم، وسبب التفرق عن الجماعة؛ فكم
أوهنت حبل الاتحاد الإسلامي وغشيت المسلمين بسببها الغواشي،
فاحذر أحزاباً وطوائف مثلها كالميازيب تجمع الماء كدرّاً وتفرقه
هدرّاً، إلا من رحم ربك؛ فكن على ما كان عليه النبي ﷺ
و أصحابه رضي الله عنهم.

فكن طالب علم على الحادة تقفو الأثر، وتتبع السنن تدعوا إلى
الله على بصيرة على طريق السلف عارفاً لأهل الفضل فضلهم
وساقتهم.

٦٦ - نواقص هذه الخلية:

اعلم وقانا الله وإياك العثرات أن من أعظم خوارم هذه الخلية
المفسدة لنظام عقدها:

- ١ - إفشاء السر.
- ٢ - ونقل الكلام من قول إلى آخرين.
- ٣ - والصلف واللسانة.
- ٤ - وكثرة الكلام.
- ٥ - والدخول في حديث بين اثنين.
- ٦ - والحدق.
- ٧ - والحسد.
- ٨ - وسوء الظن.
- ٩ - ومحالسة المبتدعة.
- ١٠ - ونقل الخطى إلى المحارم.

فاحذر هذه الآثام وأخواها؛ فإن فعلت وإنما فاعلم أنك رقيق
الديانة حفيظ، لعَّاب مغتاب، نمام؛ فأن لك أن تكون طالب علم
يشار إليك بالبنان منعما بالعلم والعمل.

سد الله الخطى ومنح الجميع التقوى وحسن العاقبة في الآخرة
والأولى

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
لمزيد تفصيل يراجع أصل المختصر
«حلية طالب العلم لبكر بن عبد الله أبو زيد»

